العدد (4106) السنة الخامسة عشرة - الثلاثاء (9) كانون الثاني 2018
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

ليفيناس : الأنا والآخر

يتفق كل من قرأ : ايمانويل ليفيناس "بالصعوبة والتعقد والتواء العديد من أفكاره وطروحاته الفلسفية. وتبدى لنا مثيراً في علاقة تلق متأخرة، لأننا تعرفنا عليه خلال فترة قصيرة وهذا كاف لتأشير تخلف الثقافة العربية، التي انتظرت تاريخاً طويلاً كي يترجم هذا المفكر المثير بكيفية تكوناته المعرفية، ابتداءً بهوسرل ومن بعده هايدجر.

ناجح المعموري

وأكثر ما يثير الاندهاش فيما قرأت له هو الكلانية واللامتناهي، وأيضا "الايروس" وهذا هو موضوع مقالتي لهذا الأسبوع، لأن الجسد أكثر موضوعات الفلسفة منذ افلاطون حتى هذه اللحظة. واهتم به كل الفلاسفة، لكن تباينت رؤية كل منهم. ولان ليفناس فيلسوف الأنا والغيرية، قدم لنا محاضرة قصيرة، مختصرة، لا بل مركزة تماماً. وتعامل مع الآيروس بوصف الجسد طرفاً فاعل الحضور في الزمان. ولم يستطع التعامل مع الأنثى إلا عبر الزمان وكأنها الفاعل اللمسي في الكينونة، والمانحة للآخر طاقة لمس يدنو بالذات نحو الآخر / الأنثى أكثر فأكثر، ويأخذهما معاً نحو الموت. وهذا أهم الاقانيم التي ركزت عليها فلسفة ليفيناس، حيث اختزل فلسفته بالمربع : الله / الموت / الأنثى / الحرب. وقراءة في هذا التوصيف تضعنا وجهاً لوجه أمام الأنا / الذات التي تعامل معها باعتبارها الموجود والذي عبره اختلف مع هايدجر الذي منح الوجود / الكينونة حضوراً متعايناً. اما ليفيناس فهو المفكر الأول الذي دعا بالموجود حضوراً ومن بعد الوجود. وهذا يعني القطب الصعب / العصي في ثنائية الفكر الفلسفي، والتي انشغل بها كل الفلاسفة، واتسعت كثيراً. بسبب الانشغال بها عبر الدراسات الثقافية والمجال الثقافي. وتحولت جوهراً مركزياً في العلوم الاجتماعية، واهتماماتها بالتحولات الثقافية ضمن مشروع الهوية. ذات العلاقة المباشرة مع الموجود، ودور الوجود في بعث كل العنايات وتكريسها حول الهوية. وقراءة ليفيناس المتوفر لنا الآن جيداً، يفضي بنا .نحو الآخر .على الرغم من محاولاته الدائمة اختراق الثابت / المعروف المعرفي، ضمن اشتغالات العديد من الفلاسفة. لكنه لم يعلن قطعية معهم، بل حافظ على المشتركات الجوهرية، ولعل الأبرز فيها الأنا والآخر، أو الغيرية أو الوجه والأخير هو المثير ليس للسؤال، بل للدهشة، لأن ليفيناس أول من أطلق الوجه مجازاً على الغير أو الآخر، وصاغ فلسفته بلغة شعرية متسامية، هي التي أكدت لي مقولة هارتمان حول استجابة التاريخ / الأدب / الفلسفة للتأويل، والموقف مع ما سنقوله عن الآخر. يختلف تماماً وكلياً، وكأنه ذهب من خلاله نحو الكلانية واللامتناهي، لأن الشعر لديه .كما اتضح لي .ليس مرناً، بل صعباً، وصلداً، ومعقداً، لكنه غير منغلق، يفيض بدلالة الإله نابو، أو يفتح منافذ نقص الصورة كما اقترح الأستاذ ناظم عودة.

قلنا بأن ليفيناس تعامل مع الوجه باعتباره آخراً وأيضاً اعتبر الأنثى آخرا / وجهاً ومن هنا يمكن الدخول لموقف هذا المفكر حول الآيروس الذي اشرنا له سابقاً. الأنثى هي الآخر بالعلاقة مع الذكر، وتحمس ليفيناس كثيراً لتمنح المرأة حقوقها كاملة، بالتماثل مع حقوق الرجل، بعدما كان وظل تاريخاً طويلاً يتمتع بحقوق كبرى ووفرت له سطوة ثقافية على المرأة. وظل محتكراً لها. قال ليفيناس : أن الأنوثة هي للرجل الغيرية الخاصة بالمرأة والتي لا يقدر. على معرفتها عن طريق الحب والزواج. هذا رأى ذهب باتجاه سرية الأنثى ومخفيات خصائصها الجسدية التي لا يمكن التعرف عليها بسهولة، على الرغم من إنه في كتابة "الزمان والآخر" منح اللمس طاقة الدنو للآخر / الأنثى وهو اللمس .كاف لتحقيق ما مطلوب من الذكر وما تريده الأنثى، ويفضي هذا الموقف الى أن اللمس شكل من أشكال الاتصال الذي، غير الادخالي، لكنه يتوفر على إمكانيات الإثارة وتحفيز الرغبة، وإثارة الشهوة لدى الأنا والآخر واعتقد بأن ليفيناس ذهب الى مجاورة ليست مكانية بين الأنثى والمذكر، ولكن بين الكامن الذي في جسديهما.

أن الاقتراب أكثر فاكثر من الغيرية / الأنثى ليست كافية للتعرف على سرديات جسد الأنثى، لان الأنوثة هي الكامن / والمجهول، السري، العميق، الذي يمثل غيرية الأنثى، أي يمكن الذهاب باتجاه رأي مغاير عن آراء فلسفية أخرى حول الجسد، وهو الجوهر الخاص بالنوع والذي يعني السر الخاص بالأنثى، وهو أنوثتها التي لا تتعجل الإعلان عن تحققها، لأنها معقدة، صعبة، تظل مقاومة على الرغم من استجابتها، حتى اللحظة التي تحين فيها ليونة الجوهر، ومرونة الأسرار، وتدفق ماء العين وامتزاجه مع ماء نازل، يلتقيان معاً بلحظة لا يقوى على الكائن / الأنثى / والمذكر السيطرة عليها، وإدامتها طويلاً وقال ليفيناس (الأنوثة ليست جسداً يمكن أدراك حدوده تحت الضوء، بل هي خاصية مختفية على الدوام وانطواء على الذات. كما لا يمكن اختزال علاقة الحب في مقابلة بين شخصين مختلفين يطمحان الى الانصهار في ذات واحدة عبر تقاسم لذة أبدية. أن الأنثى هي مستقبل مفتوح للرجل في الزمن الممزق، أنها طريقة للانعطاء تطل على الوجود وعلى العدم كحرارة متدفقة، أنها هشاشة مطلقة ومعطوبة / زهير الخويلدي / معان فلسفية / دار الفرقد / ط١ / دمشق ٢٠٠٩ ص/ ٣٣//

كنا قد ذكرنا بأن الوجه يمثل الآخر في فلسفة ليفيناس، وسنعاود لاحقاً في الاقتراب منه أكثر، لكن ارتباط الأنوثة مع الجسد الخاص بالأنثى والحضور اللامتناهي للذة لحظة الاتصال والذي ربما لا يوفر فرصة التعرّف على الأنوثة وأيضا الدنو المكتشف على الرجولة... لكني اعتقد بأن استعارات هذا المفكر، تضع المتلقي وسط ارتباكات، مثلما تمنحه فرصة الاستعانة بدلالة نابو أو نقص الصورة عندما قال بشكل دقيق وقد تكرر اكثر من مرة في ما كتبه ليفيناس / أن الوجه ليلمع داخل أثر الآخر / ن.م / ص ٣٢//

حتماً الحضور الاستعاري للغة ليفيناس غير غائب، لكن يربك المتلقي، من خلال تكرار المفردة، وهذا أبرز ما يمثل لغته الفلسفية... في المقطع الذي سجلناه اعتراف صريح، مع ميوله المستمرة، لتكتم على المعنى، من اجل تفعيل دلالة نابو، وتأتت له هذه الخاصية من الغنوصية والبلاغة التوراتية... ونستطيع أعادة صياغة ما قاله بطريقة أخرى، لكنها أكثر يسراً. أن الأنثى تلمع مع اندماج الأنا معها "لكن هذا التلاعب يفسد لغة هذا المفكر الذي سنعاود الكتابة عنه مرة أخرى، حول "الزمان والآخر" وثنائية الأنا والوجه، وهما ثنائية التشارك. لكن الغيرية الخاصة به تثير عدداً من الأسئلة، لأنه جعلها غريبة تماماً ومدهشة لكن الاقتراب منه يوفر فرصة الإمساك ولو بدلالة نابو الواحدة : أن الله والموت والأنثى والحرب هم الغيرية، والفضاء الرحب الذي ينبغي أن تنمي فيه الذات ذاتها / ن.م ص٣٢//

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

مكتبة شخصيّة: شهادة

أكوّنُ الآن مكتبة خامسة. الأولى في بغداد، وكنتُ طالباً جامعياً، تركتها من حي الشعب مع أعمال مخطوطة لم تُنشر مطلقاً. الثانية في بيروت، تركتها عند خروجي منها إثر حصار بيروت، لدى صديق، ولا أعرف مصيرها. الثالثة في جنيف، الأكبر، وكانت تحتوي على أكثر من ٣ آلاف كتاب، لأنها حصيلة أكثر من ٢٨ عاماً من الشراء والإهداءات، حاولتُ نقل الأساسيّ منها إلى تونس، عند انتقالي إليها، فوصلتني وقد قُضمتْ نوادرها من قبل "أصدقاء" كنت أئتمنهم عليها. الخامسة التي كوّنتها في الجنوب التونسيّ يُضاف إليها ما وصلني من مكتبة جنيف المُثلمة.

تختلف الحقول نظراً لتنوّع اهتماماتي، بين الشعر العربيّ والفرنسيّ (إذكر مجموعة جنيفية كبيرة من سلسلة "شعر غاليمار" الشهيرة، سرقها السارق هنا)، والأدب العربيّ بمختلف أنواعه الفنية، وعلم الجمال، وتاريخ الفن والفنانين والحضارات، والسيوسيولوجيا، والتاريخ الوسيط، ومجموعة كبيرة للغاية من كتب التراث العربيّ، تقف على رأسها الطبعة المصرية من لسان العرب التي جلبتها لي زوجتي السابقة من القاهرة. ومجموعها خليط من الكتب العربية والفرنسية، وأحيانا نادرة الإنكليزية.

هناك كتاب نستنفد غرضنا منه بعد فصل أو عدة فصول. وهناك ما يُجبر على إكماله، وهناك الموسوعات الحضارية التي هي مراجع وقتية. وهناك ما لا نعيد قراءته البتة بعد القراءة الأولى. المكتبة، يُقرأ ثلاثة أرباعها عملياً أو نصفها. الباقي نعود إليه بين فترة وأخرى، لإكماله أو استشارته أو العمل عليه. فلا يمكنك قراءة كتاب الأغاني دفعة واحدة. قرأته كله رغم ذلك بالعودة المتواترة إليه. لا يمكنك قراءة موسوعة في تاريخ الفن تبدأ منذ فنّ الكهوف وصولاً إلى آخر التيارات التشكيلية المعاصرة، إنها مشروع لقراءة متناوبة.

ننتقي من الإصدارات الجديدة ما يلائم اهتماماتنا، لكن وقبل ذلك ثقافتنا الشخصية. ما معنى مفهوم (أحدث الإصدارات)؟ اليوم بعض (أحدث الإصدارات) ضعيف القيمة، لأنها منشورة على حساب مؤلفيها أو في دور نشر تستهدف الربح السهل وليس الثقافة. الاستثناءات قائمة.

لا أتذكر أول كتاب قمتُ بقرأته وساهم في تشكيل وعيي. هناك صورة قديمة وبيدي كتاب (ثورة الشعر الحديث) لمكاوي، منتصف السبعينيات. أتذكر كذلك في مكتبتي البغدادية الصغيرة الأعمال الكاملة للسيّاب بطبعة دار العودة. القراءات الأولى هي دوماً تأسيسية وليست صارمة، مشوبة بالنزق الذاتيّ، وشهرة المؤلفين المعاصرين، بعضها انطفأ مع الزمن، أو موصولة بالإشاعات المحيطة بهذا الكتاب وذاك، وأحياناً مرتبطة بالسياق الثقافي، ففي مصر، أعتقد، أول القراءات تنصبّ على الرواية، في العراق الشعر أو نقد الشعر. في صباي زوّدني صديقي الكبير، وهو "زوج" خالتي وكان معلماً يسارياً، بالكثير من المطبوعات (ومنها الطبعة الأصلية لألف ليلة وليلة) والمجلات المصرية التقدمية، وكانت من أوائل الأعمال التي قرأتها.

العلاقة بالمكتبة الشخصية تتأسّس على المحبة والرحمة. أتخيّل، على رفوفها تستلقي (رؤوس) مصغّرة للمؤلفين، الحاضرين معنا، الشاخصين أحياناً نحونا، وهذا مخيف في بعض الليالي. في جنوب تونس أشعر بالضيق الكبير اليوم، لأنني لا أجد مكتبة "خشبية"، متواضعة وجميلة تلائم مزاج كتبي، ليس بسبب غياب النجّارين، ولكن بسبب غياب القراءة المأساوي، ولأن مكتبة خشبية إذا ما وُجدت في بعض المحلات، فإنها محض ديكور أو رفوف أستعراضية لوضع أشياء ثمينة من الطُرَف المعدنية والزجاجية والمصابيح، غير الكتب: لها هيئة مكتبة لوظيفة برجوازية.

القراءات الأولى هي دوماً تأسيسية وليست صارمة، مشوبة بالنزق الذاتيّ، وشهرة المؤلفين المعاصرين، بعضها انطفأ مع الزمن، أو موصولة بالإشاعات المحيطة بهذا الكتاب وذاك

الخروج من الشّكلية الى الدلالات التأملية والرمزية

قيس مجيد المولى

حين تأتي بمفردة فتلقائيا تستحضر دلالتها فالذبابة مثلا تشير الى اللسعة والنار الى الحريق والماء الى العطش والغيوم الى المطر، وهكذا لكل مفردة دالة من الدالات، أما الارقام فدلالاتها متنوعة بدءا من الرقم ١ الى الأرقام التي يستطع المرء التعامل معها كأن يكون الرقم يشكل مليوناً أو ملياراً أو بليوناً وهكذا، وعلى العموم فأن للأرقام دالتان جوهريتان منها مايتعلق بالتواريخ (الوقائع) ومنها ما يتعلق بشتى الحسابات المالية ونتيجة لذلك تعددت تلك الدالات بعد أن توسعت وتطوّرت حاجات العقل البشري الأمر الذي إستدعى إستحداث مفردات جديدة وفق هذه الحاجات التي لاتقف عند حدود معينة ولاينكر أن معظم هذه الأشياء لها صلة بالأشياء المادية والتي تشكل حضوراً عينياً أو سماعياً أو إدراكياً من خلال تصور الذهن لأشياء قد تحدث مستقبلاً، وحسب الأرقام والتي نعني بجانب منها بـ (التواريخ) فقد أرخت تلك الفترات حكايا وأسماء الرجال الذين قدموا خدمات جلى للبشرية بدءا من الإنسان ماقبل التاريخ الى يومنا هذا، كما أن هناك إنجازات كبيرة وعظيمة نقلت المجتمعات من دورة حياتية سائبة الى دورة أعظم وهذه النقلة حدثت بفعل المكتشفات والإختراعات كالمكتشفات الآثارية وماتبع ذلك من معطيات لدراسة وفهم الحضارات والتحولات البيئوية وأشكال العادات والتقاليد والنزاعات والبدايات البكر لفهم الكونية الى المخترعات العديدة في مجالات الحياة المختلفة والتي ولدت اللبنة الأولى لتقبل الإنسان للتطورات الإقتصادية والتعليمية والإجتماعية والزراعية والصناعية والإنعتاق من نير السيطرة الفردية والإقطاع، وأمام ذلك كان لابد من الطرق على مفهوم الإحتياجات الروحية والتفتيش عن متنفس للإستجمام في العالم البعيد فكانت الفنون والأداب هما الوسيلتان اللتان يستطع الإنسان صهر أناه فيهما والوصول الى المستوى اللائق للشعور بالنشوة وتأكيد العلاقة مع الوجود، وهنا كان لابد وإزاء المفردات الجديدة إيجاد دالات جديدة تلائم هذا التحول أو بالأحرى هذا الإنسياح في العوالم المجهولة فليس بالضرورة أن تكون المفردة ضمن وظيفتها الدلالية لذلك فأن التحول الجديد الذي طرأ على الفن والأدب قد خرج من الشكلية الى الدلالات التأملية والرمزية وهنا إجتاز الإنسان (الأديب، الفنان – المتلقي) عتبة الرؤية التقليدية لينساح في البحث عن المجهول أي تهديم أسوار البعد الدلالي الآني وحين قدمت الفلسفة بجدلياتها المتنوعة وفندت الكثير من المفاهيم والنظريات وعاكست العديد من الرؤى الفكرية العقلية البحتة حيث هيأ ذلك لإدامة زخم تلك الإكتشافات الجديدة مما أدى الى تعظيم القوى الغائبة ضمن قدرات الإنسان أي تجاوز البعد المألوف عد ذلك إكتشافا جوهريا للقدرات التشغيلية الفائقة التي يستطع من خلالها الإنسان مواجهة المعضلات وإيجاد الحلول الجمالية والعملية لها على صعيد التقنيات وعلى صعيد الخطاب الأدبي والفكري لذلك بدأ الإنسان يتحدث عن أشياء كانت من المستحيل التحدث عنها وكانت تقع في صميم المحظورات والتي لاتبيح الأنظمة وكذلك الدين الحديث عنها ومنها مايتعلق بقضية الخلق والحياة الجنسية وغيرها من القضايا المعقدة،

ولم تكن تلك المواجهة حديثة العهد بل هي نتاج لقيم وفلسفات ومواقف إنسانية ذُكر العديد من هذه المواقف ضمن سيّر أصحاب النظريات الفكرية والسياسية والمعرفية ومما أضاف لهذا الجهد البشري وأطلق يده في مغامرات جديدة الإتجاه نحو الفضاء الخارجي ولكن ولأسباب قد تكون مجهولة أو لأسباب معلومة لايمكن البوح بها في الوقت الحاضر لم يكشف العلماء أو بالأحرى الدول التي تقوم الآن بالأنشطة الفضائية لم يتم الكشف عما توصلت له تلك الإكتشافات الكونية كي يستطع الإنسان وضمن مجالات الحياة كافة من الولوج الى تجارب جديدة تعمل على تسريع النشاط الشمولي للإنسان ومحفزاته،

ما الذي يجعل القصيدة شعبيةً؟

إن كنتَ مضغوطاً لفترة من الوقت، لكنك مع هذا لا تريد التخلي عن متعة قراءة الأدب، فعليك بالشعر، كما يقول توم جاكوبس في مقاله هذا. لكن ما هذا الشيء الذي يمنح قطعةً من الشعر حيويتها الفاتنة؟ يقول بحث جديد إن العامل الأساس هنا هو قدرة القطعة الشعرية على استمالة التخيل الذاتي. وقد توصل البحث إلى أن براعة الشاعر في استخدام الكلمات لاستحضار الصور الشعرية أقوى مُنبئ بالإغراء الجمالي في العمل الشعري.

ترجمة / عادل العامل

"والناس يختلفون في آرائهم بشأن ما يحبونه، بالطبع. لكن يبدو أن هناك عوامل معينة تؤثر على مقدار ما توفره قصيدةٌ من متعة"، كما تقول المؤلفة البارزة أيمي بيلفي، عالمة النفس في جامعة ميسوري للعلوم والتكنولوجيا. وكان البحث قد أجري بجامعة نيويورك وشارك فيه ٤٠٠ شخص قرأوا سلسلة من السونيتات أو الهايكو. وتنوعت القصائد في الأسلوب ومادة الموضوع، وكانت خليطاً من الأعمال الكلاسيكية والمعاصرة.

وبعد قراءة كل قصيدة، كان المشاركون يصنّفونها استناداً إلى أربعة مقاييس: حيوية خيالها، درجة ما تؤدي إليه من حَفز أو استرخاء، مدى إيجابية أو سلبية مضمونها، وأخيراً "كيف وجدتَ إمتاع هذه القصيدة أو فتنتها من الناحية الجمالية؟" وكان المقياس الذي يتم وفقه كل قرار يتدرج من ١ إلى ١٠٠.

"وكان عامل الحيوية هو أفضل مُنبئ بالجاذبية الجمالية للقصيدة المثيرة للاهتمام"، كما قال الباحثون. وقد اختلف المشاركون في الرأي بقوة حول أية قصيدة هي التي تستحضر تخيلاً قوياً ــ وتلك، بعد كل شيء، عملية ذاتية لدرجة عالية ـ إلا أن التي كانت تستحضر التخيل القوي هي التي تعد أفضل من تلك التي لم تفعل ذلك.

وقد أدهش بيلفي وزميليها أدوارد فيسل وج. غابرييل ستار أن يجدا إن الحيوية الملاحَظة في القصيدة قد لعبت دوراً في اتخاذ القرارات أقوى من دور مضمونها العاطفي.

وهم يرون إن استحضار التخيل القوي يمكن أن يجعل مضمون القصيدة أسهل بالنسبة للعملية ذهنياً، وبالتالي يجعل تجربة قراءتها أكثر متعةً. وبالتناوب، "فإن القراء يمكن أن يُبدوا انتباهاً أكبر للقصائد التي تتّسم بالحيوية الواضحة"، كما يقول الباحثون، محذرين من أنهم "لا يريدون بذلك أن التخيل هو العامل الوحيد المساهم بالجاذبية الجمالية الذاتية للقصيدة". وظلوا في الواقع بعيدين بشكل حريص عن العوامل التي دُرست في الماضي، بما في ذلك المفردات، والإيقاع، والوزن.

لكنهم رأوا أن الخيال ــ الذي يمكن أن يتضمن لا الأشكال والألوان فقط، وإنما اللمسة، والذوق، والرائحة أيضاً ـ "يمكن أن يكون مساهماً فعالاً بوجه خاص في الجاذبية الجمالية للعمل المكتوب."

وقالوا، "إن درجة التخيل الذهني الحيوي يمكنها أن توفر مقياساً لغنى التصوير الداخلي للقصيدة بالنسبة لذلك الفرد."

بكلمات أخرى، الشعر ليس سلبياً. فحين يكتب الشاعر الانكليزي بيرسي شيلي عن ريح الخريف العاصفة بالأوراق الميتة "كأشباح من هروب فاتن، صفر، وسود، وشاحبة، وحمر"، فإننا نرى الألوان، ونشعر بهبّات الهواء الباردة. وتلك التجربة، مهما كانت سريعة الزوال، فإن بوسعها أن تكون مُرضيةً إلى حد كبير.

عن/ Pacific Standard

شيلي

ستار